

الدعوة للطاعة

ثلاثة أشخاص أذكىاء جدًا

أود اليوم أن ألفت انتباهكم إلى ثلاثة من أذكى الأشخاص المذكورين في الأناجيل. لا يعتبرهم العالم حكماء، لكنهم بالتأكيد جعلوا الله يُسرُّ بهم بعد ذلك وإلى الأبد. إنني أرجو أن تكون أنت أيضًا شخصًا يُسرُّ به الله القدير إلى الأبد. مع أن هؤلاء الثلاثة لم يكونوا معروفين في ذلك الوقت، أصبحوا معلمين للملايين على مر القرون.

وسأبدأ بدراسة موضوع الذكاء. هناك ذكاء طبيعي يمجده العالم، وهناك ذكاء رُوحِي وهو ما يبحث عنه الله، وهو ما يساعدنا على الحركة في ملكوته. الذكاء الطبيعي والذكاء الروحي غير متوافقين. إنهما يقوداننا إلى استنتاجات مختلفة ومصائر متباينة. لذلك يقول بولس: **"وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللَّهِ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا. إِنْ الْإِنْسَانُ بَدُونَ الرُّوحِ لَا يَقْبَلُ الْأَشْيَاءَ الْآتِيَةَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ بَلْ يَعْتَبِرُهَا حِمَاقَةً"** (كورنثوس الأولى ٢: ١٤). هذان النوعان من الذكاء لهما مصادر مختلفة. يُكتسب الذكاء الطبيعي عند الولادة الطبيعية، وباستثناء التغييرات الطفيفة، فإننا نرتبط به بقية حياتنا. لكن الذكاء الروحي له بدايته منذ الولادة الروحية، وهو ينمو باطراد عندما تتعمق جذورنا في التواضع. أليس هذا رائعًا؟ مع أننا نرتبط بمعدل الذكاء الطبيعي مدى الحياة، يمكننا أن نصبح أكثر إشراقًا في الأمور الروحية طالما أننا ندفع ثمن إنكار الذات.

يريد الله أن يكون الإنسان في بهاء رُوحِي. لهذا قال لآدم وحواء: **"لَا تَأْكُلَا مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَا تَمَسَّاهَا لِئَلَّا تَمُوتَا"**. أراد الله أن يثق به آدم وحواء. فالثقة في الله تجعل الإنسان يعتمد على ذكاء الله. قالت الحية لحواء إن لها الحق في المعرفة والاستكشاف. وعلى العكس من ذلك، قال لها الله أن تثق به وتطيعه. لذلك، منذ البداية، لم يبحث الله أبدًا عن رجال ونساء يتمتعون بذكاء طبيعي عظيم أو تعليم. لم يكن أي واحد من رسله من خريجي الجامعات، لكنهم قلبوا العالم رأسًا على عقب. كان على بولس الرسول أن يلقي كل ما تعلمه على كومة من القاذورات قبل أن يستخدمه الله، وانتهى إلى أن كل حكمة العالم التي افتخر بها ذات يوم، كانت جهلاً بالنسبة لله. كما قال إن المعرفة تنفخ. وقال الرب يسوع: **"أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَحْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ"** (متى ١١: ٢٥). قال سليمان، الذي كان لديه الحكمة، انطلاقًا من موهبة الحكمة: **"فَوْقَ كُلِّ تَحْفَظٍ أَحْفَظُ قَلْبَكَ، لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ"** (أمثال ٤: ٢٣). إن ذهبت إلى الكلية، فمن الأفضل أن تأخذ الرب يسوع معك؛ فبدونه، من المحتمل أن تختلط كل الأمور.

حسنًا، هل أنت مستعد لمقابلة ثلاثة من أذكى الناس رُوحِيًّا في الأناجيل، وما زال لهم تأثير علينا جميعًا حتى يومنا هذا؟ هؤلاء هم المرأة السامرية، وزكا العشار، والرجل المولود أعمى. كلهم رفضهم العالم، لكن خالقهم يفضلهم جدًا.

المرأة السامرية عند بئر يعقوب (يوحنا ٤: ١-٤٢):

تأثر يسوع بهذه المرأة السامرية لدرجة أنه غير مساره لبحث عنها. كان ذلك اللقاء بين هذين الشخصين عظيمًا لدرجة أنه كان من الممكن أن يتصدر عناوين صحيفة جيروساليم بوست في تلك الأيام. وما هي علامة أن هذه المرأة السامرية لديها نكاه روعي؟ كان ذلك أنها اعترفت أن بئرها فارغة. أعتقد أن هذا الأمر يفوق اكتشافات أينشتاين في الفيزياء. فما أن تدرك أنك في الدرك الأسفل من كل الأمور، فحينئذ، تصل إلى عتبة العظمة الحقيقية. لذلك، بهذا الذكاء، صارت هذه المرأة أول إنسان أجنبي يعتنق المسيحية: محتقرة ومردولة من اليهود. إنها صدى لابنة عمها راحاب في الزمان القديم، التي عرفت أيضًا أن بئرها فارغة، وصارت بذلك، أول امرأة كنعانية تدخل إلى اليهودية وتصبح جدة للرب يسوع. شكرًا لك يا يوحنا على تسجيل قصة المرأة السامرية. فالأنجيل الأخرى لم تسجلها. فامتلات بئر هذه السامرية الفارغة. والأفضل من ذلك أنها ربطتها ببئر الماء الحي للرب يسوع. إن بئر مائه الحي هو إمداد دائم للأنهار التي تفيض من عرش الله؛ وبهذا أصبحت هذه المرأة أول مبشرة حقيقية في تاريخ الكنيسة. في الواقع، بدون علمها، كانت امرأة ذكية.

زكا العشار جامع الضرائب (لوقا ١٩: ١-١٠):

كان زكا شخصية أخرى من المنبوذين اجتماعيًا. لم يكن شخصًا غير لائق فحسب، بل كان يُعتبر أيضًا خائنًا ورفضه اليهود تمامًا. كان رئيسًا للعشارين. ولكن مع ذلك، كان نكيًا روحياً. كان يعلم أيضًا أن بئرهِ فارغة وخاوية. كن حذرًا بشأن أفكارك المتعلقة بمثل هؤلاء الأثرياء. كما تراه في الخارج قد لا يعكس ما في قلوبهم. لا تنفس الإنسان أبدًا بنوع السيارة التي يقودها، ونوع المنزل الذي يعيش فيه، ونوع الملابس التي يرتديها، ونوعية التعليم الذي حصل عليه، ولا بما كان عليه، بل بما هو عليه الآن. نعم، لقد عرف زكا أن بئرهِ فارغة، لكن قصته تضيف المزيد إلى قصة المرأة السامرية. كان زكا أول مؤمن في كنيسة الرب يسوع المسيح، أظهر كيف تبدو التوبة، "بِلا نَدَامَةٍ" (كورنثوس الثانية ٧: ١٠)، عندما قال: "هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِيَ نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" (لوقا ١٩: ٨). قد تقول إن هذا الأمر من العهد القديم، فماذا في ذلك؟ إليكم ما تطلبه شريعة العهد القديم للتعويض عن الاحتتيال: سداد المبلغ بالإضافة إلى ٢٠٪ (لاويين ٦: ٢-٥). لكن زكا ذهب إلى ما هو أبعد من شريعة العهد القديم لدرجة أنه كان منسجمًا مع تعليم الرب يسوع عن العطاء: "كَيْلًا جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُورًا فَإِيضًا" (لوقا ٦: ٣٨). هذا النوع من العطاء وهذا التواضع وهذا الخضوع لله قد فرح قلب الرب يسوع لدرجة أنه أصر بشدة على افتقاد زكا، تمامًا مثلما افتقد المرأة السامرية قبل ذلك.

كيف هو عطاؤك يا صديقي العزيز؟ هل تجتذب الرب يسوع إلى بيتك، إلى قلبك؟ هل يبعدك بخلك عن الرب يسوع؟ ينظر الرب يسوع أين تذهب أموالك. تذكر أن الرب يسوع جلس في الهيكل في أحد الأيام، يشاهد كيف يقدم الناس عطاياهم. وهو يفعل ذلك اليوم. بارك الرب يسوع بحضوره زكا. لم يقل فقط أريد أن أكون معك اليوم؛ لا بل "قَالَ لَهُ: يَا زَكَا، أَسْرِعْ وَانزِلْ، لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ" (لوقا ١٩: ٥). ليس هناك قصة عن أن الرب يسوع افتقد شخصًا بالحاح أكثر من زكا. حقًا يا صديقي، نحن لا نتحدث كثيرًا عن المال في كنائسنا. لكن الرب يسوع يولي اهتمامًا لأموالنا أكثر من الكلمات التي ننطق بها. كان زكا رجلًا نكيًا. فقد جدد تعليم التعويض وأعطى للتوبة مضمونًا. وهذا جاء بالرب يسوع إلى بيت زكا.

الرجل المولود أعمى (يوحنا ٩: ١-٤١):

أعطي يوحنا الرسول نفس القدر من المساحة للمولود أعمى مثلما أعطى للمرأة السامرية. الرجل المولود أعمى شخصية أخرى كان على الرب يسوع أن يراه. لقد قيل إنه كان على الرب يسوع أن يمر عبر السامرة. كما كان عليه أن أن يذهب إلى بيت زكا، وهنا نجد نفس الشعور بالضرورة. بمجرد أن شُفي الأعمى، بدأ يركز للفريسيين، فطردوه من المجمع. كان على يسوع فقط أن يراه، "فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجًا، فَوَجَدَهُ" (يوحنا ٩: ٣٥). هل بدأت تتوصل إلى الصورة أن هناك أشخاصًا معينين لا يمكن للرب يسوع الابتعاد عنهم؟ إنه ينجذب إليهم كالمغناطيس. إنهم قريبون منه في هذه الحياة وسيظلون قريبين منه إلى الأبد عند عرش الله. هل هناك شيء في حياتك يجذب الرب يسوع إليك ويجعله يشارك من بين الكثيرين من رفاقك إلى الأبد؟

لقد وُلد هذا الرجل أعمى. لماذا كان عليه أن يعاني؟ إليكم الجواب: "إِلا هَذَا أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ، لَكِنْ لَتِظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ" (يوحنا ٩: ٣). والآن، طوال حياته المقيدة والمتعثرة، لم يكن لديه أي فكرة عن ذلك. لكن كان لديه ذكاء روحي نابع من روح التواضع العميق ليدرك أن الرب يسوع هو الله، ويخضع له تمامًا، ويكرز به في مواجهة الكثير من الجبن والمقاومة. يوضح هذا أن الله يمكنه أن يتمجد متى وجد استجابة من الإنسان تناسب لصلاحه. كان لدى هذا الأعمى تلك الاستجابة المناسبة. لذلك، سعى إليه الرب يسوع وأعلن له عن ذاته في وقت احتياج الرجل، بينما رفض الفريسيون المتعلمون الحق ورفضوا تمجيد الله طول الوقت. وفي اليوم نفسه، عندما كان الرب يسوع مارًا، دخل الأعمى في تاريخ الله إلى الأبد ليبارك الملايين من الناس حتى نهاية الزمان. مجدًا لله! كان هذا الأعمى رجلاً ذكيًا حقًا.

إدًا، ها أنت ذا يا صديقي. كانت المرأة السامرية ذكية بما يكفي لتعرف أنها فارغة؛ وكان زكا من الذكاء بحيث يعرف أنه محتاج إلى أن يقدم التعويض؛ وكان الرجل الأعمى ذكيًا بما يكفي للاستجابة بشكل صحيح لله في خضوع كامل وشهادة علنية. الذكاء الروحي يتفوق على الذكاء الطبيعي أكثر من مليون مرة. فهل تفضل إدًا، أن يكون لديك معدل ذكاء مرتفع أمام الإنسان أم معدل ذكاء مرتفع أمام الله؟ لكي تحقق معدل الذكاء العالي أمام الناس، يلزمك سلم لتتسلق أعلى من أصدقائك أو أعدائك. أما لكي تحقق معدل الذكاء العالي أمام الله، فتحتاج إلى مجرفة لتحفر أعمق، لتتعمق أكثر لتكون أقل من أصدقائك وأعدائك، وتصبح خادمًا للجميع.

www.joyfulabiding.com

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA